المصطلح اللغوي في القرآن الكريم

الدكتور محيي‌الدين توفيق
كلية الآداب ـ جامعة الموصل

المقدمة

لم تول امة من الامم كتاباً من الكتب بالعناية والرعاية والحفظ ، كما فعل العرب والمسلمون بالقرآن الكريم . وغنى عن القول ما لهذا الكتاب العظيم من أثر في حفظ اللسان العربي ونشوء علوم العربية . وقد ظل العرب خاصة والمسلمون عامة يتدارسون هذا الكتاب ، ومازالوا يبحثون فيه وينقّبون عن شواهد المعرفة ودلائل الانجاز ، ويستنبطون منه القواعد ويستشهدون به على نظرياتهم ومقولاتهم في النحو واللغة والبلاغة والادب.

وقد نزل القرآن بلسان عربي مبين، فلم يكن بالذين كانت تتلى عليهم آياته حاجة الى توضيح أو تفسير . واذا ما حدث أن سأل أحدهم عن هذه اللفظه اوتلك فلأنه لم يسمعها في لغته . فقد تكون من الالفاظ التي تحتفظ بها لغة الادب الرفيع أو هي لفظة تشيع لدى قبيلة غير قبيلته أو في بيئة غير بيئته . وهكذا كان ابن عباس يوضح لأمثال هؤلاء تلك الالفاظ ويشرحها لهم مستعيناً بالشعر العربي الذي كان ديوان العرب .

فالناظر في تفسير ابن‌عباس لهذه الالفاظ سرعان ما يتبين له أن ذلك التفسير لايعدو أن يكون تفسيراً لغوياً ، بعيداً عن التأويل وما الى ذلك . حتى اذا تقادم الزمن ، واتسعت المسافة بين المسلمين وبين عهد نزول القرآن، ودخلت في الاسلام امم كثيرة من غير العرب أصبحت الحاجة الى الشرح والتوضيح ضرورة لا بد من اقتفائها .

في البدء كانت هناك كتب الغريب التي تعنى بألفاظ القرآن ذات المعاني الخاصة من حيث تركيبها ومعناها واستعمالها .

فالذي ينظر في كتب التفسير الاولى كمجاز القرآن لأبي عبيدة مثلا ، يجد أن المفسر لايفسر الآيات الواحدة تلو الاخرى مبينا ما فيها من أقوال وأحكام ، بل يكتفي بايراد معاني الالفاظ التي يظنها تصعب على القارئ أو التي يجد فيها مشكلا لغوياً أو معنوياً من تلك المشكلات التي يعنى بها اللغويون عموماً .

ولكن الباحث المحدث يجد في كتب الغريب ، وكتب معاني القرآن نفسه مادة بكراً ، لابد من تمحيصها وتدقيقها ليسهل الى حقائق ربما كانت قد فاتت الاولين لالجهلهم بها ولكن لأنهم لم تكن بهم حاجة اليها ، ولم يكن الناس ممن يقرأون عليهم أو يتعلمون منهم يسألون عنها أو يلتفتون اليها . ومع ذلك زخرت كتبهم بمادة وفيرة عن أصول الالفاظ والتراكيب وتطورها الى معان جديدة لايشعر القارئ غير المتخصص بالصلة بينها وبين أصولها .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

★ ★ ★

« المصطلح اللغـــوي »

المصطلح لغة مشتق من الصلح ، ومادة (صلح) كما ينص المعجميون لها معنى واحد وهو نقيض الفساد ، قال ابن منظور : « الصلاح ضد الفساد صلح يصلح ويصلح صلاحاً » وقال ايضاً « وربما كنوا بالصالح عن الشيء الذي هو الى الكثرة كقول يعقوب مغرت في الارض مغرة من مطر وهي مطرة صالحة ، وكقول بعض النحويين كأنه ابن جني أبدلت الياء من الواو ابدالا صالحاً وهذا الشيء يصلح لك أي هو من بابتك » (١) .

وينقل مصطفى الشهابي عن (مستدرك التاج) ان الاصطلاح هو: « اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص » (٢) . وهذا الاتفاق والتواطؤ أو التصالح ان تم بين جماعة المحدثين تفتّق عن مصطلح في الحديث ، وان قام بين جماعة الفقهاء على مسائل في الفقـــه ، وان كان بين جماعة من النحاة صنعوا مصطلحاً نحوياً (٣) .

وواضح أن هذا المعنى في الاصطلاح مأخوذ من قولهم : « هذا الشيء يصلح لك أي هو من بابتك » . الذي أشرنا اليه آنفاً ، واذا كان يشترط في الاصطلاحات العلمية والفنية أن تكون باتفاق من العلماء أي بعمل ارادي مقصود ، فان المصطلح اللغوي ليس كذلك . فهو كغيره من الفاظ اللغة وأساليبها ليس عملا ارادياً مقصوداً ، بل هو الشيء يخضع لقوانين التطور الاجتماعية ، وتؤثر فيه عوامل مختلفة أهمها البيئة والثقافة . فللالفاظ دلالات أصلية تتطور بتطور الزمن باتجاه التجريد والانتقال من المادى الى المعنوى بعد أن تمر بمراحل مختلفة بحسب الحاجة ونتيجة لكثرة الاستعمال فما من شك في

---

(١) لسان العرب مادة صلح .
(٢) كتاب المصطلحات العلمية ص ٥ .
(٣) المصطلح النحوي ص ٢٢ .

أن لفظة (سبب) التي تعنى في الاصل (الحبل) لم تصل في معناها المجرد الذي يدل على التأثير والعلة الا بعد ان مرت بمراحل في الاستعمال كثيرة فبعد أن كانت تدل على الحبل مطلقاً ، أصبحت في مرحلة من مراحل التطور دالة على الحبل الذي يربط أحد طرفيه بسقف أو نحوه ليتسلق به ولايسمى الحبل سببا حتى يصعد به وينحدر به . ولذلك قالوا في السبب « كل شيء يتوصل به الى غيره » (٤). وما حدث للسبب أعني انتقال معناه من الدلالة المادية البحتة ، الى المعنى الكلي المجرد هو الذي يحدث لألفاظ اللغة عموماً . فالتطور المنطقي ان تكون الدلالة المادية سابقة للدلالة المعنوية . وهذا الامر ينسجم كل الانسجام مع تطور الانسان وعقله وادراكه عبر آلاف السنين .

الفرق بين المصطلح والمثل والقول السائر :

ليس المصطلح اللغوي هو التركيب الوحيد الذي يعطي معنى لاتدل عليه حقيقة ألفاظه ، بل هناك أنواع أخرى من التركيب تتكثف فيها معان زاخرة وتتلخص فيها تجارب أجيال وقرون. من ذلك (المثل) ، ولكن المثل كما هو معروف لدى اللغويين قول يحكي قصة واقعة ويلخص معانيها وتجاربها ولذلك حرص مؤلفو الامثال على ايراد تلك القصص فضلا عن شرحهم لالفاظها وبيان مضاربها . (٥) وليس المصطلح كذلك ، فلا علاقة له بالقصص والحكايات ، وانما تطور في المعاني يطرأ على الالفاظ فيحوّلها الى معان جديدة بينها وبين المعاني القديمة أو ألاصلية قرينة أو علاقة . وفرق آخر بين المثل والمصطلح هو أن المثل يبقى محتفظاً بنصه لايتغير فيها شيء وان اختلف المخاطب وتغير المضروب له . قال الزمخشري: «والامثال يتكلم

(٤) لسان العرب مادة سبب .

(٥) ينظر المستقصى للزمخشري المقدمة ص د .

بها كما هي ، فليس لك أن تطرح شيئاً من علامات التأنيث في (أطرى فإنك ناعلة) ولا في (رمتني بدائها وانسلت) وان كان المضروب له مذكراً ، ولا أن تبـــدل اسم المخاطب من عقيل وعمرو في (أشئت عقيل الى عقلك) (هذه بتلك فهل جزيتك ياعمرو) (٦) ، ولا يشترط في المصطلح اللغوي ذلك فقد يتغير بتغير الخطاب . تقول (ضاقت ذرعاً) و(ضق ذرعاً) و (يضيق ذرعاً) (ضيقي ذرعاً) الى غير ذلك . وان كان بعض المصطلحات يلزم حالة واحدة لا يحول عنها ولا يتطرق الى الفاظه التغير ، كقولهم « بعين ما أرينك» (٧) وهذا النوع من المصطلح يكون في حالة الجمود كما سنبين فيما بعد .

ومن ذلك أيضاً القول السائر ، كقولهم (لا آتيك ما حنّت النيب) أو (لايضرّ الحوار ما وطئته أمه) (٨) . وهذا يختلف اختلافاً بيّناً عن المصطلح لأنه ليس فيه انتقال من معنى أصلي الى معنى جديد متأت من تركيب الالفاظ أو إسنادها ، وهو يختلف عن المثل لأن المثل كما قلنا يحكي قصة وتلزم بمعاني الفاظه حالة واحدة مهما تغير الخطاب .

المصطلح الاسنادي وغير الاسنادي :

والمقصود بالمصطلح اللغوي ان تجتمع لفظتان فأكثر في تركيب معنى اسنادى فينشأ عن هذا التركيب معنى جديد لا تدل عليه معاني الالفاظ الداخلية فيه كل على حدة . غير أن هذا المعنى الجديد لم ينشأ اعتباطاً ، بل تربطه بمعاني الالفاظ روابط مختلفة سنتحدث عنها في هذا البحث .

فقولهم (ضاق ذرعاً) تركيب اسنادي أسند فيه الفعل الى الفاعل فنشأ عن هذا التركيب معنى جديد لا يفهم من معنى اللفظتين . فالضيق ضدالسعة ، والذرع

(٦) مقدمة المستقصى ص هـ وينظر في معاني هذه الامثال ١/٢٢١ ، ٢/١٠٣ ، ١/١٧٥ ، ٢/٣٨٨ .
(٧) الميداني مجمع الامثال ومعناه اسرع .
(٨) مجمع الامثال ٢/٢١٩ ، ٢٢٠ .

هو مدّ الذرع ، وأصل هذا المعنى مأخوذ مما يحدث للجمل حين يثقل حمله ، فيضيق ذرعه فكلما زاد حمله ضاقت المسافة بين ذراعيه . وهكذا خلص معنى هذا التركيب الى الدلالة على قلة الطاقة عموماً ، واستعمل للجمل وغير الجمل ، وقد استعمل في القرآن الكريم في موضعين وهو قوله تعالى: « وضاق بهم ذرعاً » (٩) .

ومن ذلك ايضاً قوله تعالى : «قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق»(١٠) وللمفسرين فيه قولان: الاول انه بمعنى وضح وتبين وانكشف(١١). والثاني ثبت واستقر(١٢) ، وأصل المعنى الاول من « حصحصت التراب وغيره اذا حركته وفحصته يميناً وشمالا» (١٣) وأصل المعنى الثاني من قولهم « حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة » (١٤) .

ومن ذلك ايضاً قوله تعالى : «فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم »(١٥)حكاية عن امراة ابراهيم قال المفسرون : ان المعنى هنا هو التعجب أي انها تعجبت عندما بشّرت بغلام (١٦). وأصل الصك لغة الضرب الشديد بالشيء العريض وقيل هو الضرب عامة بأي شيء كان (١٧)، وقد أوضح المفسرون أيضاً ان امرأة ابراهيم ضربت جبهتها بجميع أصابعها (١٨). وقيل لطمت وجهها (١٩) . ولكن هذا الضرب لم يحدث إلا عند التعجب وهو عادة

(٩) سورة هود /٧٧ ، سورة العنكبوت /٣٢ .
(١٠) يونس /٥١ .
(١١) التفسير لابن قتيبة ٢١٨ ، تفسير الطبري ١٢/١٤٠ .
(١٢) الكشاف ٢/٣٢٦ .
(١٣) اللسان مادة حصحص .
(١٤) الكشاف ٢/٣٢٦ وينظر التاج مادة حصحص .
(١٥) سورة الذاريات /٢٩ .
(١٦) تفسير الطبري ٢٦/١٣٩ ، الكشاف ٤/١٨ ، تفسير القرطبي ١٧/٤٧ .
(١٧) اللسان مادة صكك .
(١٨) تفسير ابن قتيبة ٤٢١ ، تفسير الطبري ٢٦/١٢٩ .
(١٩) الكشاف ٤/١٨ ، تفسير القرطبي ١٧/٤٧ .

معروفة لدى النساً قديماً وحديثاً . وعلى هذا يكون معنى التعجب قد فهم من العلاقة بين الفعلين ، وهذا النوع من المصطلحات والتعابير ، ومثله قوله تعالى : «فيؤخذ بالتواصي والاقدام»(٢٠). وقوله تعالى : «لنسفعاً بالناصية(٢١) وقوله تعالى : «ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها»(٢٢)، والاخذ بالناصية او الامساك بها معناه الاذلال والقهر (٢٣) .

ومن ذلك مالايكون تركيباً اسنادياً ، بل شبه جملة ، من ذلك قوله تعالى «حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (٢٤)، فعن يد جار ومجرور اختلف في معناه ، فقيل ، «أعطاه عن يد وعن ظهريد اذا أعطاه مبتدئاً غير مكافئ» (٢٥) . وقيل قهراً أو نقداً غير نسيئة(٢٦). وهذه المعاني كلها اصطلاحية خرجت عن المعنى الذي يؤديه الجار والمجرور أيضاً : (من خلاف) في قوله تعالى « أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف»(٢٧) . أي أن تقطع اليد اليمنى من كل منهم والرجل اليسرى (٢٨) . « والخلاف بالكسر المخالفة والخلاف أيضاً المضادة وقد خالفه مخالفة وخلافاً » (٢٩) ويجيء ظرفاً ، ومنه قوله تعالى : «بين يدى عذاب شديد » (٣٠) ، وقد ورد في القرآن

(٢٠) سورة الرحمن /٤١ .
(٢١) سورة العلق /١٥ .
(٢٢) سورة هود /٥٦ .
(٢٣) التأويل ١٨١ وانظر اللسان مادة نصا .
(٢٤) سورة التوبة /٢٩ .
(٢٥) التفسير ١٨٤ .
(٢٦) تفسير الطبري ٧٧/١٠ ، تفسير الكشاف ١٨٤/٢ .
(٢٧) سورة المائدة /٣٣ .
(٢٨) التأويل ٣٩٩ ، تفسير الطبري ١٣٧/٦ ، تفسير القرطبي ١٥١/٦ ، ٢٦١/٧ .
(٢٩) التاج مادة خلف .
(٣٠) سورة سبأ /٤٦ .

كثيراً (٣١) . ومعنى بين يدى الشيء أمامه أوقبله (٣٢) . وما جاء بمعنى (أمامه) قوله تعالى : «من بين أيديهم ومن خلفهم» (١٤) ويأتي بمعنى قبله ، قوله تعالى : «مصدقاً لما بين يديه» (٣٤) ، أي لما قبله .

طرق الانتقال من المعاني الحقيقية الى المعاني الاصطلاحية :

أثبت البلاغيون أساليب في البيان يلجأ اليها في التعبير عن كوامن النفس وخفايا الشعور ، لاتستطيع الالفاظ أن تؤديها اذا استعملت بمعانيها الحقيقية ، فينقلونها الى معان مجازية ترتبط بالمعاني الأصلية بروابط ظاهرة أو خفيّة ومن تلك الاساليب : المجاز والاستعارة والكناية ، ولكل من هذه الانواع الثلاثة علاقات وفروع زخرت بها كتب البلاغة . ولكن البلاغيين تحدثوا عن ذلك باعتباره وسيلة في التعبير الجميل يصل به صاحبه الى المعنى المراد بألفاظ منتقاة يقصد اليها قصداً . والذي أريد أن استخلصه من هذا أن استعمال المجاز والاستعارة والكناية وغيرها من اساليب البلاغة الراقية عمل ارادى من صنع المتكلم وادراكه ، ولكن المجاز والاستعارة والكناية وغير ذلك تتخذ طريقاً آخر في أساليب التعبير التي تحدثنا عنها آنفا ، وأعني بها المثل والمصطلح اللغوي والقول السائر . ففي هذه الانواع يأتي المجاز والاستعارة والكناية لغرض الانتقال بالتركيب الى معان اخرى لاتؤديها ألفاظه فرادى وعلى هذا يكون المجاز والاستعارة والكناية مأتيا بها على غيرقصد ، وانما تتطور في ذلك تطوراً يأخذ زمنا قد يقصر ويطول. فاذا أراد العربي أن يعبر عن أن شيئاً ما أخذ بأكمله لا ينقص منه شيء قال أخذه برمته ، وأصله البعير يشدّ في عنقه حبل فيقال أعطاه البعير برمته (٦٣). وواضح أن هذا يدخل فيما يسميه

(٣١) ينظر المعجم المفهرس ٧٧ .
(٣٢) اللسان مادة يدى .
(٣٣) سورة الاعراف /١٧ .
(٣٤) سورة المائدة /٤٦ وانظر التفسير لابن قتيبة ٣٦١ .
(٣٥) اللسان مادة رمم .

البلاغيون الاستعارة المكنية ، فقد شبه الشيء المأخوذ بأكمله بالبعير الذي يؤخذ كاملا لا ينقص منه شيء حتى الرمة التى يقاد بها فحذف المشبه والمشبه به وأتي بأحد لوازم المشبه به أو ما يشتمل عليه وهو الرّمة . وقد نجد مثل هذا في كثير من التعبيرات الاصطلاحية ، وعلى ذلك يمكن تقسيمها من هذه الناحية الى الاقسام الثلاثة الآتية :

الاول : ما انتقل فيه المعنى الاصلي الى المعنى الجديد انتقالا مجازيا، وأعني بالانتقال المجازي هنا ما كان اساسه مجازا مرسلا على حد البلاغيين لهذا النوع من المجاز ، والبلاغيون يثبتون للمجاز علاقات كثيرة تربط المعنى الجديد بالمعنى الحقيقي وتضبطه وقد وجدنا طائفة من هذه العلاقات في كثير من المصطلحات اللغوية القرآنية وحسبنا ان نشير الى طائفة منها مستشهدين بالمصطلح القرآني فهو هدفنا في هذا البحث .

١ — من ذلك قوله تعالى : « والله محيط بالكافرين » (٣٦) ، وتفسيره أن الله « جامعهم فحلّ بهم عقوبته » (٣٧) ، وقيل « عالم بهم » (٣٨) . وعلى هذا تأتي الاحاطة بالشيء في القرآن الكريم بمعنيين . أحدهما : الجمع وانزال العقوبة ، ومعنى ذلك الاهلاك والغلبة ، وعلى هذا المعنى فسّر قوله تعالى : « وظنوا أنهم أحيط بهم » (٣٩) ، أي دنوا من الهلاك (٤٠) وكذلك قوله تعالى: « وأحيط بثمره » (٤١) وقد حمل ابن قتيبة قوله تعالى « إلا أن يحاط بكم » (٤٢) على هذا المعنى ، فقال في تفسيره : « أي تشرفوا

(٣٦) سورة البقرة /١٩ .
(٣٧) تفسير الطبري ١/١٢٢ .
(٣٨) تفسير القرطبي ١/٢٢١ .
(٣٩) سورة يونس /٢٢ .
(٤٠) التأويل ١٦٧ ، والتفسير ١٩٥ ، ٢٦٨ .
(٤١) سورة الكهف /٤٢ .
(٤٢) سورة يوسف /٦٦ .

على الهلكة وتغلبوا » (٤٣) .والمعنى الثاني: هو العلم بالشيء من جميع جوانبه ، كما قال تعالى :« وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً»(٤٤) ،وقال تعالى« أحطت بمالم تحط به»(٤٥) ، ومثله في آيةالكرسي :« ولايحيطون بشيء من علمه » ، والمعنيان متأتيان من المعنى الحقيقي للاحاطة ، فهي في الاصل الاحداق . من ذلك قولهم : «احاطت به الخيل وحاطت : أحدقت ، واحتاطت بفلان وأحاطت اذا أحدقت به» (٤٦) وفي كل ذلك انتقل معنى الاحاطة الى المجاز. قال الزمخشري « واحاطة الله بالكافرين مجاز ، والمعنى أنهم لايفوتونه كمالا يفوت المحاط به المحيط حقيقة » (٤٧) .

٢ — ومما سبيله المجاز ايضاً ، قوله تعالى : «ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل » (٤٨) والقطع هنا على المجاز لا على الحقيقة لان المقصود قطع صلة الرحم(٤٩)،ومثل هذا قوله تعالى: «فهل عسيتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم » (٥٠) قال الطبري : « وانما عني بالرحم أهل الرحم الذين جمعتهم واياه رحم والدةواحدة» (٥١). والعلاقةهنا كمايسميهاالبلاغيون(المحلية) .

٣ — ومنه قوله تعالى : « بلى من أسلم وجهه لله»(٥٢). قال الطبري : «وأما قوله من أسلم وجهه لله فانه يعني باسلام الوجه التذلل لطاعته والاذعان لامره (٥٣) .

---

(٤٣) التفسير ٢١٩ .
(٤٤) سورة الطلاق /١٢ .
(٤٥) سورة النمل /٢٢ .
(٤٦) اللسان مادة حوط .
(٤٧) الكشاف ٢١٨/١ ، وينظر التاج مادة حوط .
(٤٨) سورة البقرة /٢٧ .
(٤٩) تفسير الطبري ١٤٤/١ ، الكشاف ٢٦٩/١ .
(٥٠) سورة محمد /٢٢ .
(٥١) تفسير الطبري ١٤٤/١ .
(٥٢) سورة البقرة ١١٢ .
(٥٣) تفسير الطبري ٣٩٣/١ .

وعلى هذا يكون المقصود بالوجه سائر الجوارح التي ينقاد بها الانسان وقد خصه بالذكر لأنه أشرفها، والعرب تخبر بالوجه عن جملة الشيء(٥٤) ، ويلحظ أن (الاسلام) مأخوذ من هذا المعنى . وانما سمي المسلم مسلماً بالوجه مسلماً بخضوع جوارحه لطاعة ربه (٥٥). فذكر الوجه وارادة سائر الجوارح مجاز علاقته الجزئية .

٤ — ومنه قوله تعالى : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك»(٥٦) والمراد بغلظة القلب الشدة والقساوة (٥٧)، والقاسي القلب غير ذى الرحمة ولا الرأفة (٥٨) ، أو هو تجهم الوجه وقلة الانفعال في الرغائب وقلة الاشفاق والرحمة » . وهو من المجـــاز كالعهد الغليظ واغلاظ اليمين ، وأمر غليظ وماء غليظ » (٥٩) .

٥ — ومنه قوله تعالى : « ولكنه أخلد الى الارض» (٦٠) ومعنى أخلد ركن ومال (٦١)، ومعنى اخلد الى الارض ركن الى الدنيا وسكن (٦٢)، وآثر شهواتها ولذتها على الاخرة (٦٣) ، وقيل مال الى السفالة (٦٤) وعلى هذا يكون الاخلاد الى الارض مذموماً لأن المقصود بها متاعها ولذتها وشهواتها(٦٥)

---

(٥٤) تفسير القرطبي ٢/٧٥ .
(٥٥) تفسير الطبري ١/٣٩٣ .
(٥٦) سورة آل عمران /١٥٩ .
(٥٧) اللسان مادة غلظ .
(٥٨) تفسير الطبري ٤/٩٩ .
(٥٩) التاج مادة غلظ .
(٦٠) سورة الاعراف /١٧٦ .
(٦١) اللسان مادة خلد .
(٦٢) التفسير ١٧٤ .
(٦٣) تفسير الطبري ٩/٨٥ .
(٦٤) تفسير الكشاف ٢/١٣٠ .
(٦٥) تفسير الطبري ٩/٨٥ .

والارض موضع ذلك كله ، وليس المقصود السكن فيها لأن ذلك غير مذموم في حقيقته لأن حياة الانسان ومعاشه لاتتم بدونه ، ففيهـــا رزقه ومحياه ومماته

٦ — ومنه قوله تعالى : «حتى يعطوا الجزية عن يد » (٦٦) . اختلف في تفسيرقوله تعالى « عن يد » فاما أن يراد بها يد المعطي ، وا ان يراد بها يد الآخذ ، فاذا اريد بها يد المعطي فمعناه حتى يعطوها عن يد أي عن يد مؤاتية غير ممتنعة ، أو حتى يعطوها عن يد الى يد نقداً غير نسيئة لا مبعوثاً على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الاخذ ، والعرب تقول لكل معط قاهراً له شيئاً طائعاً له أوكارها أعطاه عن يده وعن يد وذلك نظير قولهم كلمته فما لفم ولقيته كفة لكفة وكذلك أعطيته عن يد ليد . وقال ابن عباس يدفعها بنفسه غير مستنيب فيها أحداً وأما على ارادة يد الاخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أو عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم (٦٧). والمعنى في كل ذلك على المجاز لأن اليد هي أداة الاعطاء والاخذ يتم دونما وساطة أو انابة فيكون ذلك نقداً وان تم ذلك دون رضا من المعطي دلّ على القهر ، وان كان الآخذ جالسا والمعطي واقفاً دلّ على الذل والصغار ، وان كان ذلك يدل عليه قوله تعالى « وهـم صاغرون » في الآية نفسها عنـد القرطبي (٦٨) . ونجتزىء بهذه الامثلة ، فالمصطلحات القرآنية التي جاءت على سبيل المجاز كثيرة في القران الكريم . وحسبنا أن نشير الى طائفة يسيرة منها فضلا عما شرحناه آنفا . من ذلك قوله تعالى : « وأخبتوا الى ربهم » (٦٩) ، وقـوله تعالى

(٦٦) سورة التوبة /٢٩ .
(٦٧) التفسير لابن قتيبة ١٨٤ ، تفسير الطبري ٧٧/١٠ ، تفســير الكشــاف ١٨٤/٢ ، تفسير القرطبي ١١٥/٨ ، وينظر اللسان مادة يدى والتــاج ٤١٨/١ ٤١٩ .
(٦٨) تفسير القرطبي ١١٥/٨ .
(٦٩) سورة هود ٢٣ ، واصله من الخبت المطمئن من الارض . اللسان مادة خبت .

«فجاسوا خلال الديار»(٧٠)، وقوله تعالى: «فطفق مسحا بالسوق والاعناق»(٧١) والثاني: ماانتقل فيه المعنى عن طريق الاستعارة. والاستعارة كما يعرّفها البلاغيون «هي ان تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الاخر مدّعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالا عل ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به» (٧٢). وللاستعارة أنواع معروفة يذكرها البلاغيون منها التصريحية والمكنية وغيرها. ولسنا بصدد أن نستفيض في ذلك فليس هذا موضعه ولكننا نريد أن نستعيد في الذاكرة ما يفيد فهم الاسلوب القرآني في مصطلحاته وتعابيره. وقد اتخذ الاسلوب القرآني هذه السبيل في معانيها الحقيقية الى معان جديد تربطها علاقة التشبيه على حد البلاغيين.

١ — من ذلك قوله تعالى: «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم» (٧٣)، الختم لغة هو التغطية والاخفاء وختم البذر تغطيته، والختم والطبع في اللغة واحد وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من أن لايدخله شيء، كما قال جلّ وعلا: «أم على قلوب أقفالها» (٧٤). قال الطبري: «فان قال لنا قائل وكيف يختم على القلوب وانما الختم طبع على الاوعية والظروف والغلف، قيل: فان قلوب العباد أوعية لما أودعت من العلوم، وظروف لما جعل فيها من المعارف بالامور، فمعنى الختم عليها وعلى الاسماع التي بها تدرك المسموعات ومن قبلها يوصل الى معرفة حقائق الانباء عن المغيبات نظير معنى الختم على سائر الاوعية والظروف» ((٧٥))، فالقلوب والسمع في هذه الآية الكريمة شبهها بوعاء يختم فلا يدخله شيء.

---

(٧٠) سورة الاسراء /٥.
(٧١) سورة ص /٣٣.
(٧٢) مفتاح العلوم للسكاكي ١٧٤.
(٧٣) سورة البقرة /٧.
(٧٤) اللسان مادة ختم.
(٧٥) تفسير الطبري ١/٨٦ — ٨٧.

٢ — ومن ذلك قوله تعالى : « فقد استمسك بالعروة الوثقى » (٧٦). العروة لغة هي المقبض كعروة الدلو والكوز ونحوه (٧٧). أو هي في النبات ماله أصل باق في الارض كالنصّي والعرفج وأجناس الخلة والحمض (٧٨). والاستعارة متحققة على المعنيين . فعلى الاول يكون الايمان الذي يتمسك به المؤمن كعروة الدلو أو الكوز ونحوهما مماله مقبض فلا يمكن الامساك والتشبث به الا بالامساك بتلك العروة والتشبث بها (٧٩) . قال الزمخشري : «وهذا تمثيل للمعلوم والنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصور السامع كأنه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به » (٨٠). وهذا هو حاصل المعنى الثاني للعروة وهو كل ماله أصل في الارض من النبات فاذا أمحل الناس عصمت العروة الماشية (٨١) .

٣ — ومنه قوله تعالى : « وأقرضتم الله قرضاً حسناً » (٨٢). أصل القرض في اللغة القطع (٨٣) ، ثم استعير لكل ما يتجازى به الناس بينهم ويتقاضونه (٨٤) قال ابو اسحق الزجـــاج : « تقول العرب لك عندي قرض حسن وقرض سيء وأصل القرض ما يعطيه الرجل أو يفعله ليجازى عليه » (٨٥) .

وقال القرطبي : « واستدعاء القرض في هذه الآية انما هو تأنيس وتقريب للناس بما يفهمونه والله هو الغني الحميد لكنه تعالى شبه عطاء المؤمن

---

(٧٦) سورة البقرة /٢٥٦ .
(٧٧) اللسان مادة عرا .
(٧٨) تاج العروس مادة عرا .
(٧٩) تفسير الطبري ٣/٨٤ .
(٨٠) الكشاف ١/٣٨٧ .
(٨١) التاج مادة عرا .
(٨٢) سورة المائدة /١٢ .
(٨٣) التاج مادة قرض .
(٨٤) اللسان مادة قرض .
(٨٥) التاج مادة قرض .

في الدنيـــا بما يرجو به ثوابه في الاخرة بالقرض كمـــا شبه اعطاء النفوس والاموال في أخذ الجنة بالبيع والشراء (٨٦) .

٤ — ومنه قوله تعالى : « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً» (٨٧) « الحرج الضيق وحرج صدره يحرج حرجاً : ضاق فلم ينشرح لخبر فهو حرج وحرج»(٨٨).وقال الطبري : هو اشد الضيق (٨٩)،ومن الضيق الشك(٩٠) قال الفراء : « والحرج فيما فسر ابن عباس الموضع الكثير الشجر الذي لا تصل اليه الراعية. قال فكذلك صدر الكافر لاتصل اليه الحكمة » (٩١) ، فشبه صدر الشاك بالحرج لانه يضيق فلايدخل اليه الايمان ، كما أن الحرجة تضيق بالاشجار والنبات فلا يجد الداخل اليها سبيلا .

٥ — ومنه قوله تعالى: « واتخذتموه وراءكم ظهريا » (٩٢) . قال الفراء « رميتم بأمر الله وراءَ ظهوركم كما تقول : تعظمون أمر رهطي وتتركون« أن تعظموا الله وتخافوه » (٩٣) ، وقال ابن قتيبة : « لم تلتفتوا الى ما جئتكم به عنه ، تقول العرب جعلتني ظهريا وجعلت حاجتي منك بظهر اذا اعرضت عنه وعن حاجته.وقال ثعلب(٩٤): «نبذتم ذكر الله وراء ظهوركم» (٩٥) . وقال الطبري: « واستخففتم بربكم فجعلتموه خلف ظهوركم لاتأتمرون لامره

(٨٦) التفسير لابن قتيبة ٣/٢٤٠ .
(٨٧) سورة الانعام ١٢٥ .
(٨٨) اللسان مادة حرج .
(٨٩) التفسير ٨/٢١ .
(٩٠) التأويل ولابن قتيبة ٤٨٤ ، التفسير له ١٦٥ .
(٩١) معاني القرآن ١/٣٥٣ وينظر التأويل ٤٨٤ ، تفسير الطبري ٨/٢١١ ، اللسان مادة حرج .
(٩٢) سورة هود /٩٢ .
(٩٣) معاني القرآن ٢/٢٦ .
(٩٤) التفسير ٢٠٩ .
(٩٥) اللسان مادة ظهر .

ولاتخافون عقابه ولاتعظمونه حق عظمته ، يقال الرجل اذا لم يقض حاجة الرجل نبذ حاجته وراء ظهره أي تركها لايلتفت اليها واذا قضاها قيل جعلها أمامه ونصب عينيه ، ويقال ظهرت بحاجتي وجعلتها ظهرية أي خلف ظهرك (٩٦) . والظهرى عند ابن زيد الفضل ، وأصله عنده أن يخرج الجمّال معه ابلا ظهارية لايجعل عليها شيئا احتياطا ليستعملها اذا احتاج اليها ، فيقول انما ربكم عندكم مثل هذا ان احتجتم اليه وإن لم تحتاجوا إليه فليس بشيء » (٩٧) . ولذلك كان الاستظهار بمعنى الاحتياط (٩٨) .

ونجتزىء بهذا الايات التي تجرى على سبيل الاستعارة فهي كثيرة ، ونشير كذلك الى طائفة اخرى منها كقوله تعالى : « واحلل عقدة من لساني » (٩٩) وقوله تعالى : « أم على قلوب أقفالها » (١٠٠) ، وقوله تعالى : « فان للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم » (١٠١) ، وقوله تعالى : « فامشوا في مناكبها » (١٠٢) .

والثالث : ما انتقل فيه المعنى من طريق الكناية ، وقد عرّفها السكاكي بأنها : « ترك التصريح بذكر الشيء الى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور الى المتروك » (١٠٣) ، ومن أمثلتها المشهورة عند البلاغيين قولهم (طويل النجاد) كناية عن طول القامة ، و (نؤوم الضحى) كناية عن المرأة المرفهة المخدومة . والكناية سواء كانت عن الموصوف تشيع في المصطلحات القرآنية ، ولا

(٩٦) تفسير الطبري ١٢/٦٤ .
(٩٧) تفسير الطبري ١٢/٦٥ .
(٩٨) التاج مادة ظهر .
(٩٩) سورة طه /٢٧ .
(١٠٠) سورة محمد /٢٤ .
(١٠١) سورة الذاريات /٥٩ .
(١٠٢) سورة الملك /١٥ .
(١٠٣) مفتاح العلوم ١٨٩ .

غرابة في ذلك ، فالقرآن أبلغ أسلوب خوطب به العربي وأبين ماسمعته العرب وقديماً قال العلماء ان القرآن نزل بلغة العرب وأساليبهم في التخاطب والبيان.

ونحن نورد طائفة من المصطلحات التي اتخذت سبيل الكناية :

١ — قوله تعالى: « وثبّت أقدامنا» (١٠٤)،وهي كناية عن الصمود في وجه الاعداء والصبر على مقارعتهم والانتصار عليهم . قال الطبري : «يعني وقوّقلوبنا على جهادهم لتثبت أقدامنا فلانهزم عنهم» (١٠٥).وقال الطبري : « وخصوا الاقدام بالثبات دون غيرها من الجوارح لان الاعتماد عليها » (١٠٦).

٢ — قوله تعالى: « يولوكم الادبار » (١٠٧)، قال الطبري : كناية عن انهزامهم لان المنهزم يحوّل ظهره الى جهة الطالب هرباً الى ملجأ وموئل يئل اليه منه خوفاً على نفسه والطالب في أثره فدبر المطلوب حينئذ يكون محاذى وجه الطالب الهازمة » (١٠٨) .

٣ — قوله تعالى : « نكص على عقبيه » (١٠٩)، هو كناية عن الهروب وأصل النكوص الرجوع ولا يقال ذلك الا في الرجوع عن الخير خاصة (١١٠) قال القرطبي : « وليس هاهنا قهقرى بل هو فرار » (١١١) .

٤ — قوله تعالى: « فردوا أيديهم في أفواههم » (١١٢)، اختلف المفسرون في معناه ، فقال بعضهم معنى ذلك فعضوا على اصابعهم تغيظاً عليهم في

---

(١٠٤) سورة البقرة /٢٥٠ .
(١٠٥) تفسير الطبري ٣٩٦/٢ .
(١٠٦) تفسير القرطبي ٢٣١/٤ .
(١٠٧) سورة آل عمران /١١١ .
(١٠٨) تفسير الطبري ٣١/٤ .
(١٠٩) سورة الانفال /٤٨ .
(١١٠) اللسان مادة نكص .
(١١١) تفسير القرطبي ٢٧/٩ .
(١١٢) سورة ابراهيم /٩ .

دعائهم اياهم ما دعوهم اليه ، وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم لما سمعوا كتاب الله عجبوا منه ، ووضعوا أيديهم على أفواههم ، وقال آخرون هذا مثل وانما اريد أنهم كفوا عما امروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به ولم يسلموا (١١٣) واختار اكثر المفسرين المعنى الاول وهو اختيار الطبري (١١٤) ، والزمخشري (١١٥) والقرطبي (١١٦) وعلى هذا فهو كناية عن الغيظ والحنق .

٥ — قوله تعالى : « ولا تبسطها كل البسط » (١١٧) ، أصل البسط النشر (١١٨) ، وهو ضد القبض ، ومعنى الاية : « ولا تبسطها بالعطية كل البسط فتبقى لاشيء عندك ولا تجد اذا سئلت شيئاً تعطيه سائلك » (١١٩) ، وقد ضرب مثلا لذهاب المال ، فان قبض الكف يحبس ما فيها (١٢٠) . وبسط اليد هنا كناية عن التبذير .

ومما سبيله الكناية أيضا قوله تعالى : « ولا تمش في الارض مرحاً » (١٢١) كناية عن الاختيال . وقوله تعالى : « فسينغضون اليك رؤوسهم » (١٢٢) كناية عن الاستهزاء . وقوله تعالى : « فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها » (١٢٣) كناية عن الاسف والتندم . وقوله تعالى : « ثاني عطفه » (١٢٤) كناية عن التكبر . وقوله تعالى : « ينظرون اليك تدور أعينهم » (١٢٥) كناية عن شدة الخوف .

---

(١١٣) ينظر تفسير الطبري ١٣/١٢٦ ، ١٢٧ .
(١١٤) المصدر السابق ١٣/١٢٧ .
(١١٥) الكشاف ٢/٣٦٩ .
(١١٦) تفسير القرطبي ٩/٣٤٥ .
(١١٧) سورة الاسراء /٢٩ .
(١١٨) التاج مادة بسط .
(١١٩) تفسير الطبري ١٥/٥٦ .
(١٢٠) تفسير القرطبي ١٠/٢٥٠ .
(١٢١) سورة الاسراء /٣٧ .
(١٢٢) سورة الاسراء /٥١ .
(١٢٣) سورة الكهف /٤٢ .
(١٢٤) سورة الحج /٩ .
(١٢٥) سورة الاحزاب /١٩ .

المصطلحات اللغوية الجامدة والمنتقلة :

يقول علماء اللغة ان اللفظة كائن حي يولد وينشأ ويترعرع ويمر بكافة أطوار الحياة حتى يشيخ ثم يموت . وربما صدق هذا القول على اللغة نفسها . وقد تحدث علماء اللغة عن نشأة اللغات وتطورها وتفرعها الى شعب وفروع عبر تاريخ الانسان المديد . غير أن اللغة تنمو من حيث ثروتها اللغويةومعاني ألفاظها وانتقالها من المادي المحسوس الى المجرد ، فالمعنوي المعقول والكلي المدرك . وليست كل ألفاظ اللغة تخضع لهذا التدرج ، أو تسير في هذا المسار الى نهايته ، فمنها ما يبقى ماديا بحتا لا يغادر هذا المعنى أبدا ، ومنها ما ينتقل الى مراحل أخرى ثم يتوقف عندها لا يغادرها الى ما يليها ، ومنها ما يصل في تطور معناه الى أعلى درجات سلم الرقي . وقد يحدث هذا في بعض الالفاظ بسرعة لا تستطيع المعجمات اللحاق به ، وقد يكون ذلك بطيئا جدا ، وقد يكون الامر بين هذا وذاك .

غير أن السؤال الملحّ الذي تنبغي الاجابة عليه . كيف يحدث هذا التطور أو هذا النمو ؟ وكيف ينتقل المعنى من مرحلة الى مرحلة ؟ ولماذا يتوقف بعض الالفاظ في تطوره على حين يستمر بعضها في الرقيّ كما أسلفنا ؟ تحدث علماء اللغة المحدثون كثيرا من وسائل نمو اللغة ، وخصوصا اللغة العربية . وقد أسهبوا في ذلك اسهابا لا يخلو من ملل في بعض الاحيان . تحدثوا عن الاشتقاق وأنواعه الصغير والكبير والاكبر والكبّار ، واختلفوا كما اختلف القدماء في هذه الاسماء ومسمياتها ، كما تحدثوا عن التعريب والنحت والتركيب وغير ذلك مما نقرأه في كتب اللغة الحديثة ، والحقيقة ان هذه الوسائل التي يسردونها في كتبهم لنمو اللغة وارتقائها ، اذا استثنينا الاشتقاق الصرفي والتعريب ، لم تعد من وسائل نمو اللغة العربية في يومنا هذا . فاذا كان الاشتقاق الكبير طريقة من طرائق نمو اللغة العربية ، فقد انقضى هذا الامر ولم يعد ممكنا بعد أن دوّنت اللغة . قد يكون صحيحاً أن معاني القطع المتنوعة في نحو (قطّ

وقطع وقطف وقطم) وغير ذلك متحقق في الثنائي (ق . ط) وأن الزيادة في المعنى او الاختلاف في درجة القطع أو نوعه متأت من الحرف الثالث أو مدلول عليه به ، قد يكون ذلك صحيحا ، ولكن هل يمكن أن يتم هذا اليوم ؟ وما يقال عن الاشتقاق الكبير يقال عن الاشتقاق الاكبر او الكبّار اذا استثنينا بعض أنواع النحت او التركيب الذي يستعمل في بعض أنواع المصطلحات العلمية المنقولة عن اللغات الاوربية .

لابد اذن من البحث عن الطريق الذي تسلكه الالفاظ في تطورها واكتسابها لمعان جديدة تنتقل بها عبر مسارها الذي أشرنا اليه من المادي البحث الى الكلي المدرك ، لنأخذ بعض الالفاظ التي تطورت معانيها ومازالت معروفة لدينا بالطريقة التي سلكتها في تطورها وارتقائها فلفظة (حرج) تعني في يومنا هذا المانع النفسي الذي يحول بين المرء وبين الاقدام على عمل شيء ، فيقال ليس في ذلك حرج أي لا مانع يحول دونه . وسبق أن أشرنا الى أن أصل الحرج في اللغة الموضع الكثير الشجر الذي لا يصل اليه الراعية ، أو هو جمع حرجة وهي مجتمع شجر . والحراج غياض من شجر السلم ملتفة لا يقدر أحد أن ينفذ فيها أو غير ذلك من الشجر كالسدر والزيتون.(١٢٦) والحرج على هذا مكان يصعب السير فيه لشدة ضيقه ، ولذلك استعبر للدلالة على الضيق مطلقاً ، ومن ذلك قوله تعالى: « فلايكن في صدرك حرج منه » (١٢٧)، ومثله قوله تعالى : « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعّد في السماء » (١٢٨)، ثم انتقل هذا المعنى الى معنى جديد هو المنع عموماً، كقوله تعالى: « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم»(١٢٩)

(١٢٦) اللسان مادة حرج .
(١٢٧) سورة الاعراف /٢ .
(١٢٨) سورة الانعام /١٢٥ .
(١٢٩) سورة المائدة /٦ .

ثم تحول المعنى للدلالة على الاثم كقوله تعالى : « ليس على الاعمى حرج» (١٣٠) ومنه المتحرّج الذي يلقي الاثم عن نفسه ، ثم الى التحريم كما في قوله تعالى : « لكي لايكون على المؤمنين حرج في ازواج أدعيائهم » (١٣١) . ولم ترد هذه اللفظة في القران الكريم الا على أصلها (حرج) بفتح الحاء والراء الا قوله تعالى : « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً » فقد قرئت بفتح الراء وكسرها (١٣٢). وقراءة الكسر تنقل اللفظة من الاسمية الى الوصفية وهو أول ما اشتق من هذا الاسم . غير أن الاستعمال ادّى الى ظهور مشتقات أخر تحمل المعاني الجديدة التي حملتها اللفظة في استعمالها القرآني بعد أن استعيرت استعارة حقيقية كما يسميها البلاغيون . فمما اشتق من هذه اللفظة حرج يحرج حرجاً و (الحارج) وهو الاثم (١٣٣) . وقالوا تحرّج فهو متحرج وهو الكاّف عن الاثم ، ثم جاء التحريج بمعنى التضييق من قولهم حرّج عليه الامر تحريجاً ، من ذلك ما ورد في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام في قتل الحيات فليحرّج عليها ، وقوله عليه الصلاة والسلام في حديث اليتامى تحرجوا أن يأكلوا معهم أي ضيّقوا على أنفسهم ، وأحرجت فلاناً أي صيّرته الى الحرج أو الى مضيق .

فقد تبين لنا المسار الذي اتخذته هذه اللفظة في الانتقال من معناها المادي الاول وهو الدلالة على الموضع الذي تجتمع فيه الاشجار اجتماعاً كثيفاً الى معان حسية أخرى كالتضييق في المكان عموماً ثم الى المنع فالاثم فالتحريم . وهذا كله لم يأت جملة واحدة ، اذ لابد أن يكون بين هذا الاستعمال وذاك زمن طال أو قصر تنتقل بعده الى المعنى الجديد . وقد قلنا أن هذه اللفظة استعملت

(١٣٠) سورة النور /٦١ .
(١٣١) سورة الاحزاب /٣٧ .
(١٣٢) التاويل ٤٨٤ .
(١٣٣) قال ابن سيده : أراه على النسب لانه لافعل له . اللسان مادة حرج .

في القرآن بصيغة واحدة وهي صيغتها الاصلية . ونلحظ هنا أنها لم تستعمل مفردة بل دلّت على معناها في جمل كاملة مما يصلح أن نطلق عليه (المصطلح). ولكنها بعد ذلك تخلصت من هذا القيد في الاستعمال ، ولم يعد معناها الجديد المستعار من المعنى الاصلي يلمح فيه الاستعمال المجازى ، بل استقر في الذهن أنه هو المعنى الحقيقي . ومن هنا أصبحت اللفظة قابلة للاستعمال على حدة واشتق منها الفعل والوصف والمصدر فقالوا حرج حرجاً وتحرّج تحرجاً وأحرج إحراجاً فهو محرج ومن هذه الصيغ ما لا تجده في المعجم . غير أن هناك مصطلحات لغوية اخرى لم تتحول ولم تتبدل ، بل بقيت على وضعها محتفظة بنظامها مشيرة الى معناها المجازى اشارة واضحة بيّنة لا لبس فيها ، فهي لم تستقر بعد في الذهن فتصبح حقيقة بعد أن كانت مجازا ، من ذلك قوله تعالى : « وأفئدتهم هواء » (١٣٤)، وللمفسرين في هذا قولان ، فهو اما بمعنى أنهم جبناء لا قوة في قلوبهم ولا جرأة ، واما بمعنى حمقى لا عقول لهم فقلوبهم خالية ليس فيها شيء من الخير ولا تعقل شيئاً (١٣٥). وقد احتفظ هذا التركيب بصيغته، فلم يؤخذ منه فعل أو مصدر دال على معناه. وعلى هذا يمكن تقسيم المصطلحات اللغوية القرآنية بحسب تصرفها وانتقالها الى الاقسام الاتية :

أولها : المصطلحات المتصرفة التي تحوّل معناها الذي كان في الاصل مجازاً الى الاستقرار والثبات في الاستعمال فأصبح حقيقة لايكاد يذكر القارئ أصلها المجازى الا بعد طول امعان وتدبر وقد انتقلت أيضاً من الصيغة التركيبية الى الصيغة الافرادية فأخذ منها المصدر والفعل والصفة وتدرّج معناها المجازى من المعنى المادى البحت الى أعلى درجات المعاني الكلية المعقولة كما

(١٣٤) سورة ابراهيم /٤٢ .

(١٣٥) ينظر في تفسير هذه الآية تفسير الطبري ١٥٨/١٣ ، الكشاف ٣٨٢/٢ ، اللسان والتاج مادة هوا .

رأينا في قوله تعالى : « فلايكن في صدرك حرج منه » . ومثله قوله تعالى « أو جاء أحد منكم من الغائط» (١٣٦).فالغائط في أصله اللغوي المطمئن من الارض ، ولكنه انتقل الى معنى جديد يدل على الحدث نفسه ، واشتق منه المصدر والفعل والصفة ومثله قوله تعالى : «ان يظهروا عليكم »(١٣٧) بمعنى الغلبة أو الاطلاع ، وقوله تعالى : « وان تصبهم سيئة يَطّيّروا بموسى » (١٣٨) ، أي يتشاءموا وهو من الطيرة وكانت العرب تتيمن بالسانح وهو الذي يأتي من ناحية اليمين، وتتشأم بالبارح وهو الذي يأتي من ناحية الشمال (١٣٩)، وقد اشتق من هذا التطيّر والطيرة وغير ذلك من الافعال والمصادر.

والقسم الثاني : المصطلحات التي بقيت محتفظة بمعناها وصيغتها التركيبية لم تتغير كما مر في قوله تعالى : « وأفئدتهم هواء » ، ومن ذلك قوله تعالى : « ولتصنع على عيني»(١٤٠) أي لتربى ويحسن اليك وأنا مراعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينيه اذا اعتنى به (١٤١).فالجار والمجرور (على عيني) دل على الرعاية والرقابة والشمول بالنظر وبقي ملازما لهذا المعنى لم يتحوّل الى غيره لا في القرآن ولا في غير القرآن . ومثله قوله تعالى : « في قلوبهم مرض» (١٤٢) ، وقوله تعالى : « فقطع دابر القوم الذين ظلموا » (١٤٣) . أي اجتث أصلهم فلم يبق منهم احد .

والقسم الثالث : ما يتخذ سبيلا وسطاً بين هذا وذاك ، اذ بدأ أول مراحل الانتقال ولكنه مازال في خطواته الاولى لم يرتق في تدرج معانيه الى أعلى

(١٣٦) سورة النساء /٤٣ .
(١٣٧) سورة الكهف /٢٠ .
(١٣٨) سورة الاعراف /١٣١ .
(١٣٩) تفسير القرطبي ٧/٢٦٥ .
(١٤٠) سورة طه /٣٩ .
(١٤١) الكشاف ٢/٥٣٦ .
(١٤٢) سورة البقرة /١٠ .
(١٤٣) سورة الانعام /٤٥ .

درجات السلم كما هي حال القسم الاول ، ولم يبق جامداً لا يتزحزح عن موضعه وتركيبه كما هي حال القسم الثاني . من ذلك قوله تعالى : « وضاق بهم ذرعاً» (١٤٤)،وقد مرّ بنا أن معناه الدلالة على عدم القدرة والاحتمال(١٤٥). ولم يغادر هذا المصطلح صورته التركيبية هذه الا في موضع آخر حذف منه التمييز (ذرعاً) واستعمل المصدر (ضيق) بدل الفعل (ضاق) وذلك قوله تعالى « ولا تكن في ضيق مما يمكرون»(١٤٦) . ومثله قوله تعالى : « ويكفوا أيديهم » (١٤٧)،ومعناه يمنع أيديهم أن تمتد اليكم بالاذى ، وقد استعمل الكفّ بهذا المعنى في القران أيضاً في قوله تعالى : « واذ كففت بني اسرائيل عنك » (١٤٨)، ومثله قوله تعالى: « كى تقرّ عينها(١٤٩)» أي حتى تبرد فرحاً وارتياحاً ، ولا تسخن حزناً . وقد جاء في القرآن على هذا المعنى المصدر في قوله تعالى: « قرة عين لي ولك» (١٥٠) « وفعل الامر » وقرّي عيناً » (١٥١) .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١٤٤) سورة هود /٧٧ .
(١٤٥) انظر ص ٢٢٥ من هذا البحث .
(١٤٦) النمل /٧٠ ، الضيق هنا ليس كالضيق في قوله تعالى : « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا » الانعام ١٢٥ ، ولا كما في قوله تعالى : « حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت » التوبة ١١٨ وان تقاربت المعاني .
(١٤٧) سورة النساء /٩١ .
(١٤٨) المائدة /١١٤ .
(١٤٩) سورة طه /٤٠ .
(١٥٠) سورة القصص /٩ .
(١٥١) سورة مريم /٢٦ .

الخاتمـــــة

ظل المفسرون واللغويون يتناولون ألفاظ القرآن الغريبة من حيث معانيها المفردة ، ولا يعنون بالمعنى العام من حيث أصله اللغوي وتطوره من الحقيقة الى المجاز الا بالقدر الذي يوضح ذلك المعنى المفرد . وقد أشار فريق من المفسرين منهم الزمخشري والقرطبي الى تلك الاصول اللغوية والى معانيها المجازية الجديدة دون أن يتلمسوا السبيل التي سلكته تلك الالفاظ في التركيب التي أطلقنا عليها (المصطلح اللغوي) . وقد قلنا أن المقصود بالمصطلح اللغوي « أن تجتمع لفظتان فأكثر في تركيب اسنادي أو غير اسنادي فينشأ عن التركيب الجديد معنى جديد لا تدل عليه معاني الالفاظ الداخلية فيه كل على حدة » . وقد توصل البحث الى أن هذا التركيب قد يسلك سبيل الجملة الاسنادية ، فعلية كانت كقوله تعالى : « وضاق بهم ذرعاً » ، أو اسمية كقوله تعالى : « وأفئدتهم هواء » وقد يكون التركيب غير اسنادي جاراً ومجروراً ، كما في قوله تعالى : « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » ، أو ظرفاً كقوله تعالى : « بين يدي عذاب شديد » .

وقد فرّقنا في البحث بين المصطلح اللغوي وبين غيره من الاساليب التركيبية الاخرى ، كالمثل والقول السائر ، وقلنا ان المثل قول يحكي قصة واقعة ويلخص معانيها وتجاربها ويحتفظ بنصه وبألفاظه لا يتغير فيها شيء وان اختلف المخاطب وتغيّر المضروب له . ولا يشترط في المصطلح اللغوي هذان الشرطان . وقلنا أيضاً ان المصطلح اللغوي يختلف عن القول السائر لأن هذا ليس فيه انتقال من معنى أصلي الى معنى جديد متأت من تركيب الالفاظ أو اسنادها .

وقد تناولنا في البحث السبل التي يتخذها المصطلح اللغوي في الانتقال من المعاني الحقيقية الى المجازية الجديدة . ووجدنا أن ذلك اما أن يكون على سبيل المجاز

المرسل بعلاقاته المختلفة ، واما على سبيل الاستعارة بأنواعها ، واما على سبيل الكناية مستشهدين على كل ذلك بما ورد في القرآن الكريم من هذه المصطلحات اللغوية .

واخيراً تناول البحث انقسام المصطلح اللغوي من تطوره وارتقاء معانيه على اقسام ثلاثة الاول : أسميناه المصطلح المتصرف الذي تحول معناه الذي كان في الاصل مجازاً الى الاستقرار والثبات في الاستعمال فأصبح حقيقة لا يكاد يذكر القارئ أصلها المجازي الابعد طول امعان وتدبر . والثاني : المصطلح الذي بقي محتفظاً بمعناه ، وصيغته التركيبية لم تتغير . والثالث : ما اتخذ سبيلا وسطاً بين هذا وذاك .

وبعد . فهذه جوله آمل ان تكون دراسة لبعض اساليب القرآن اللغوية ، وفهما جديداً لغريبه أضعهما بين يدي الباحثين . فان أصبت فذاك توفيق من الله وأن أخطأت فحسبي أني بذلت الجهد وسعيت في طلب القصد . والحمد لله من قبل ومن بعد .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

★ ★ ★